الفصل الثانى

قصة سارة والملك الكافر

عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ قال : قال النبى ﷺ : « هاجر إبراهيم ـ عليه السلام ـ بسارة ، فدخل بها قرية فيها ملك من الملوك ، أو جبَّار من الجبابرة ، فقيل : دخل إبراهيم بامرأة هى من أحسن النساء ، فأرسل إليه أن يا إبراهيم ! مَن هذه التى معك ؟ قال : أختى ثمّ رجع إليها ، فقال : لا تُكَذِّبى حديثى ، فإنى أخبرتهم أنك أختى ، والله إن على الأرض من مؤمن غيرى وغيرك .

فأرسل بها إليه ، فقام إليها ، فقامت توضَّأ وتُصلِّى ، قالت : اللهم إن كنت آمنت بك وبرسولك ، وأحصنت فرجى إلا على زوجى ، فلا تُسلِّط علىّ الكافر ، فَغُط حتى ركض برجله (قال الأعرج : قال أبو سلمة بن عبد الرحمن، إن أبا هريرة قال: قالت : اللهم إن يمت يُقال هى قتلته ، فأُرْسِل ثمّ قام إليها ، فقامت توضأ وتصلّى ، وتقول : اللهم إنى كنت آمنت بك وبرسولك وأحصنت فرجى إلا على زوجى ، فلا تُسلِّط علىَّ هذا الكافر ، فغُطْ حتى ركض برجله .

قال عبد الرحمن : قال أبو سلمة . قال أبو هريرة . . فقالت : اللهم إن يَمت فيُقال هى قتلته ، فأُرْسِل فى الثانية ، أو فى الثالثة فقال : والله ما أرسلتم إلىّ إلا شيطاناً ، ارجعوها إلى إبراهيم ، وأعطوها آجر[1] ، فرجعت إلى إبراهيم ـ عليه السلام ـ فقالت : أشعرت أن الله كبت الكافر وأخدم وليدة ؟

وروى مسلم عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ « لم يكذب إبراهيم النبى عليه السلام ـ قط إلا ثلاث كذبات : ثنتين فى ذات الله قوله : « إنى سقيم » وقوله : « بل فعله كبيرهم هذا » . وواحد فى شأن سارة ، فإنه قدم أرض جبّار ومعه سارة وكانت أحسن الناس ، فقال لها :

---

(١) وفي بعض الروايات «هاجر» ووقعت هنا بلفظ «أجر».

وليس بها ماء فوضعها هنالك ووضع عندهما جراباً فيه تمر ، وسِقاءً فيه ماء . ثم قفى إبراهيم مُنطلقاً فتبعته أم إسماعيل فقالت : يا إبراهيم ! أين تذهب وتتركنا بهذا الوادى الذى ليس فيه إنس ولا شىء ؟ فقالت له ذلك مراراً : وجعل لا يلتفت إليها فقالت له: الله أمرك بهذا ؟ قال : نعم . قالت : إذن لا يضيعنا . ثم رجعت فانطلق إبراهيم حتى إذا كان عند الثنية حيث لا يرونه ، استقبل بوجهه البيت ، ثم دعا بهؤلاء الكلمات ورفع يديه فقال : ﴿ **ربنا إنى أسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع** ﴾ حتى بلغ ﴿ **يشكرون** ﴾ .

وجعلت أم إسماعيل تُرضع إسماعيل وتشرب من ذلك الماء حتى إذا نفد ما فى السِقاء . عطشت وعطش ابنها وجعلت تنظر إليه يتلوى ـ أو قال يتلبط ـ فانطلقت كراهية أن تنظر إليه . فوجدت الصفا أقرب جبل فى الأرض يليها . فقامت عليه ثم استقبلت الوادى تنظر هل ترى أحداً . فلم تر أحداً فهبطت من الصفا حتى إذا بلغت الوادي . رفعت طرف درعها ، ثم سعت سعى الإنسان المجهود حتى جاوزت الوادي ، ثم أتت المروة فقامت عليها . فنظرت هل ترى أحداً . فلم تر أحداً ففعلت ذلك سبع مرات » .

قال ابن عباس : قال النبى ﷺ « فذلك سعى الناس بينهما . فلما أشرفت على المروة سمعت صوتاً فقالت : صه ـ تريد نفسها ثم تسمعت أيضاً فقالت قد أسمعت إن كان عندك غواث ، فإذا هى بالملك عند موضع زمزم فبحث بعقبه ـ أو قال بجناحه ـ حتى ظهر الماء فجعلت تحوضة وتقول بيدها هكذا وجعلت تغرف من الماء فى سقائها وهو يفور بعد ما تغرف » .

قال ابن عباس : قال النبى ﷺ « يرحم الله أم إسماعيل لو تركت زمزم ـ أو قال : لو لم تغرف من الماء لكانت زمزم عيناً معيناً » .

قال : « فشربت وأرضعت ولدها . فقال لها الملك : لا تخافوا الضيعة فإن ها هنا بيت الله يبنى هذا الغلام وأبوه ، وإن الله لا يضيع أهله . وكان البيت مرتفعاً من الأرض ، كالرابية ـ تأتيه السيول ، فتأخذ عن يمينه وشماله . فكانت كذلك حتى مرت بهم رفقة من جرهم أو أهل بيت من جرهم . مقبلين من طريق كداء فنزلوا فى أسفل

مكة . فرأوا طائراً عائفاً ، فقالوا : إن هذا الطائر ليدور على ماء لعهدنا بهذا الوادي ما فيه ماء فأرسلوا جَرِيًّا أو جَرِيَّيْن[1] . فإذا هم بالماء فرجعوا فأخبروهم بالماء فأقبلوا. قال: وأم إسماعيل عند الماء ـ فقالوا : أتأذنين لنا أن ننزل عندك ؟ فقالت : نعم ولكن لا حق لكم فى الماء، قالوا : نعم .

قال ابن عباس : قال النبى ﷺ : فألفى ذلك أم إسماعيل وهى تحب الإنس فنزلوا ، وأرسلوا إلى أهليهم . فنزلوا معهم ، حتى إذا كان بها أهل أبيات منهم، وشب الغلام ،وتعلم العربية منهم، وأنفسهم، وأعجبهم حين شب، فلما أدرك الحُلُم زوجوه امرأة منهم .

وماتت أم إسماعيل ، فجاء إبراهيم بعد ما تزوج إسماعيل يطالع تركته ، فلم يجد إسماعيل ، فسأل امرأته عنه فقالت : خرج يبتغى لنا ثم سألها عن عيشهم وهيئتهم . فقالت : نحن بِشَرٍّ ، نحن فى ضيق وشدة فشكت إليه . قال : فإذا جاء زوجك فاقرئى عليه السلام . وقولى له يُغير عتبة بابه فلما جاء إسماعيل كأنه آنس شيئاً . فقال هل جاءكم من أحد ؟ قالت : نعم جاءنا شيخ كذا وكذا فسألنا عنك . فأخبرته وسألنى كيف عيشنا ؟ فأخبرته أنَّا فى جهد وشدة . قال : فهل أوصاك بشىء ؟ قالت: نعم أمرنى أن أقرأ عليك السلام . ويقول: غير عتبة بابك . قال ذاك أبى . وقد أمرنى أن أفارقك الحقى بأهلك . فطلقها وتزوج منهم أخرى فلبث عنهم إبراهيم ما شاء الله ، ثم أتاهم بعد : فلم يجده فدخل على امرأته فسألها عنه . فقالت : خرج يبتغى لنا . قال كيف أنتم ؟ وسألها عن عيشهم وهيئتهم ؟ فقالت : نحن بخير وسعة . وأثنت على الله فقال : ما طعامكم ؟ قالت : اللحم . قال فما شرابكم ؟ قالت : الماء قال : اللهم بارك لهم فى اللحم والماء قال النبى ﷺ « ولم يكن لحم يومئذ حَبٌّ ولو كان لهم . دعا لهم فيه ، قال : فهما لا يخلو عليهما أحد بغير مكة إلا لم يوافقاه .

قال : فإذا جاء زوجك فاقرئى عليه السلام . ومريه يثبت عتبة بابه . فلما جاء إسماعيل . قال هل أتاكم من أحد ؟ قالت : نعم . أتانا شيخ حسن الهيئة وأثنت عليه . فسألنى عنك ؟ فأخبرته فسألنى كيف عيشنا ؟ فأخبرته، أنَّا بخير قال فأوصاك

(١) جَرِيًّا: أى : رسولا ، وسُمِّى بذلك؛ لأنه يجرى مجرى مُرْسِلِه أو موكله أولأنه يجرى مسرعا في حوائجه.

إنّ هذا الجبار إن يعلم أنك امرأتى يغلبنى عليك ، فإن سألك فأخبريه أنك أختى ، فإنك أُختى فى الإسلام ، فإنى لا أعلم فى الأرض مسلماً غيرى وغيرك .

فلمّا دخل أرضه ، رآها بعض أهل الجبَّار ، أتاه فقال له : لقد قدم أرضك امرأة لا ينبغى لها أن تكون إلا لك فأَرْسَل إليها ، فأتى بها ، فقام إبراهيم ـ عليه السلام ـ إلى الصلاة . فلمّا دخلت عليه ؛ لم يتمالك أن بسط يده إليها ، فقُبضت يده قبضة شديدة ، فقال لها : ادعى الله أن يُطلِق يدى ولا أرك ، ففعلت فعاد ، فقُبضت أشد من القبضة الأولى ، فقال لها مثل ذلك ، ففعلت ، فعاد ، فقُبضت أشد من القبضتين الأولتين ، فقال : دعى الله أن يُطلق يدى فلَكِ الله أن لا أضرك ، ففعلت ، وأطلقت يده ودعا الذى جاء بها ، فقال له ، إنما أتيتنى بشيطان ولم تأتنى بإنسان ، فأخرجها من أرضى ، وأعطها هاجر فأقبلت تمشى ، فلما رآها إبراهيم عليه السلام انصرف وقال لها : لها مَهْيَمْ ؟ قالت : خيراً ، كف الله يد الفاجر ، وأخدم خادماً » قال أبو هريرة : فتلك أمكم يا بنى ماء السماء »[1] .

المعانى :

لا تكذِّبى حديثى : أى لا تغيِّرى حديثى فيظهر الاختلاف .

فغط حتى ركض برجله : اختنق حتى صار كأنه مصروع والركض : تحريك الرجل .

إن كنت آمنت : ذكرت ذلك على سبيل العرض هضماً لنفسها .

أُرْسِل : تُرِك .

---

(١) البخارى فى البيوع (٢١٧ ، باب : شراء المملوك من الحربى وهبته وعتقه وفى الهبة (٢٦٣٥) ، وفى الإكراه (٦٩٥٠) وفى الأنبياء (٣٣٥٨) قول الله تعالى ﴿ واتخذ الله إبراهيم خليلاً ﴾ وفى النكاح (٥٠٨٤) وفى الأنبياء (٣٣٥٨١) ، ومسلم (٢٣٧١) فى الفضائل باب من فضائل إبراهيم ﷺ وأحمد (٢/ ٤٠٣ ، ٤٠٤) ، والترمذى (٣١٦٦) فى التفسير (سورة الأنبياء) أبو داود (٢٢١٢) فى الطلاق باب : فى الرجل يقول لامرأته يا أختى) ، وأبو يعلى فى المسند (١٠ / ٤٢٦ ـ ٤٢٨) (٦٠٣٩) والنسائى فى فضائل الصحابة (٢٦٥) ، والبيهقى فى الأسماء والصفات (٢٨٢ / ٢ وابن نصر فى تعظيم قدر الصلاة (١/ ٢٢٧ ـ ٢٢٩) (٢١٠) ، وأبو عبيد فى المواعظ والخطب (٢٢) ، وابن طهمان فى مشيخته (رقم ٢٥) .

أخدم وليدة : وهبها خادمة .

فلك الله : أى : شاهد وضامن ـ مَـهْيَمْ ؟ أى ما خبـرك ؟ وما شأنك . يا بنى ، ماء السماء : أى العرب وقيلت : الأنصار .

الفوائد من القصة :

١ ـ استـحبـاب اللجوء إلى المعـاريض (التورية) عـند الضرورة فـفيهـا منادح من الكذب.

٢ ـ أنّ الله تعالى يصرف كيد الكفرة عن أنبيائه بما شاء .

٣ ـ العرب المستـعربة (العدنانيون ومنهم النبى ﷺ يرجعون إلى إسـماعيل وهو ابن هاجر).

٤ ـ الرخصة فى الانقياد للظالم والغاصب .

٥ ـ إجابة الدعاء بإخلاص النية .

٦ ـ كفاية الرب لمن أخلص فى الدعاء بعمله الصالح .

٧ ـ ابتلاء الصالحين لرفع درجاتهم .

٨ ـ أنّ مَن نابه أمر من الكرب ينبغى له أن يفزع إلى الصلاة .

٩ ـ أن الوضوء كان مشروعاً للأمم قبلنا .

١٠ ـ مشروعية أخوة الإسلام .

١١ ـ التوسل إلى الله بعمل المسلم الصالح .

١٢ ـ استحباب الصلاة عند نزول الشدائد للتخلص منها .

قصة هاجر واسماعيل ـ عليهما السلام ـ

قال ابن عباس : « أول مـا اتخذ النساء المِنْطق من قِبَل أم إسماعـيل اتخذت منطقاً لتُعـفى أثرها على سـارة لما جاء بهـا إبراهيم وبابنها إسـماعـيل ـ وهى ترضعـه ـ حتى وضعـها عند البيت عند دَوْحـة فوق زمزم فى أعلى المسـجد . وليس بمكة يومئـذ أحد

بشيء ؟ قالت : نعم . هو يقرأ عليك السلام . ويأمرك أن تثبت عتبة بابك . قال ذاك أبى وأنت العتبة أمرنى أن أمسكك . ثم لبث عنهم ما شاء الله ثم جاء بعد ذلك ، وإسماعيل يبرى نبلاً له تحت دوحة قريباً من زمزم فلما رآه قام إليه فصنعا كما يصنع الوالد بالولد والولد بالوالد . ثم قال : يا إسماعيل إن الله أمرنى بأمر قال : فاصنع ما أمرك ربك . قال وتعيننى ؟ قال : وأعينك . قال : فإن الله أمرنى أن أبنى ها هنا بيتاً ـ وأشار إلى أكمة مرتفعة علىٰ ما حولها » قال : « فعند ذلك رفعاً القواعد من البيت ، فجعل إسماعيل يأتى بالحجارة وإبراهيم يبنى حتى إذا ارتفع البناء جاء بهذا الحجر فوضعه له فقام عليه وهو يبنى وإسماعيل يناوله الحجارة وهما يقولان : ﴿ **ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم** ﴾[1] .

وفى رواية عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما قال : « لمّا كان بين إبراهيم وبين أهله ما كان وخرج إسماعيل ومعهم شُنَّة فيها ماء ، فجعلت أم إسماعيل تشرب من الشنّة فَتدرُّ لبنها على صبيها حتى قدم مكة ، فوضعها تحت دوحة ثم رجع إبراهيم إلى أهله فأتبعته أم إسماعيل ؟ حتى لما بلغوا كداء ، نادته من ورائه : يا إبراهيم ! إلى من تتركنا ؟ قال : إلى الله قالت : رضيت بالله » .

قال : فرجعت ، فجعلت تشرب من الشنة ويدر لبنها على صبيها حتى لمّا فنى الماء؟ قالت : لو ذهبت فنظرت لعلى أحس أحداً » .

قال : « فذهبت ، فصعدت الصفا فنظرت ونظرت ، هل تحس أحداً ؟ فلم تحس أحداً ، فلما بلغت الوادى ، سعت وأتت المروة ؟ ففعلت ذلك أشواطاً . ثم قالت : لو ذهبت فنظرت ما فعل . . تعنى الصبى فذهبت فنظرت ، فإذا هو على حاله كأنه ينشع للموت ، فلم تقرها نفسها فقالت : لو ذهبت فنظرت لعلّى أحسُّ أحداً فذهبت فصعدت الصفا فنظرت ونظرت فلم تحس أحداً ، حتى أتمت سبعاً ، ثم قالت : لو ذهبت فنظرت ما فعل ،فإذا هى بصوت ، فقالت : أغث إن كان عندك خير ، فإذا جبريلُ » .

قال : « فقال بعقبه هكذا وغمز عقبة على الأرض » .

---

(١) أخرجه البخارى فى الأنبياء (٣٣٦٢) ، باب : يزفون : النسلان فى المشى وأحمد (١/ ٣٦٠) وابنه فى زوائد المسند (٥/ ١٢١) والنسائى فى فضائل الصحابة (٢٧١ ، ٢٧٢) وابن حبان فى الصحيح (٦/ ١٠ ـ ١١) (٣٧٠٥) .

قال : « فانبثق الماء ، فدهشت أم إسماعيل ، فجعلت تحفزُ » .

قال : فقال أبو القاسم : « لو تركته كان الماء ظاهراً » .

قال : « فجعلت تشرب من الماء ، ويدر لبنها على صبيها » .

قال : « فمر ناس من جرهم ببطن الوادى ، فإذا هم بطير إذ أنهم أنكروا ذاك ، وقالوا : ما يكون الطير إلا على ماء فبعثوا رسولهم ، فنظر فأتاهم بالماء ، فأتاهم ، فأخبرهم فأتوا إليها ، فقالوا : يا أم إسماعيل ! أتأذنين لنا أن نكون معك ، أو نسكن معك ؟

فبلغ ابنها ، فنكح منهم امرأة » .

قال : « ثم إنه بدا لإبراهيم فقال لأهله : إنى مطلع تركتى » .

قال : « فجاء فسلَّم . فقال : أين إسماعيل ؟ فقالت امرأته : ذهب يصيد .

فقالت : ألا تنزل فتطعم وتشرب ؟ فقال : وما طعامكم ؟ وما شرابكم ؟ قالت : طعامنا اللحم ، وشرابنا الماء .

قال : اللهم بارك لهم فى طعامهم وشرابهم .

قال : فقال أبو القاسم ﷺ « بركة بدعوة إبراهيم » .

قال : « ثم إنه بدا لإبرهيم ، فقال لأهله : إنى مطلع تركتى ، فجاء ، فوافق إسماعيل من وراء زمزم يصلح نبلاً له ، فقال : يا إسماعيل ! إن ربك أمرنى أن أبنى له بيْتاً .

قال : أطع ربك . قال : إنه أمرنى أن تعيننى عليه .

قال : ما الذى أفعل » أو كما قال .

قال : « فقاما ، فجعل إبراهيم يبنى وإسماعيل يناوله الحجارة ويقولان : ﴿ **ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم** ﴾[1] .

المعانى :

---

(١) البخارى (٣٣٦٥) فى الأنبياء باب يزفُّون ، النسلان فى المشى ، مختصراً معلقاً ، ووصله أبو نعيم فى المستخرج وعمر بن شبّه فى كتاب مكة (الفتح ٦ / ٤٠٠) وأخرجه الأزرقى فى تاريخ مكة ١/ ٥٧ ، ٢ / ٣٩) والفاكهى كما فى الفتح (٦ / ٤٠٠) . وأخرجه النسائى فى فضائل الصحابة (٢٧٤).

(أ) فى الرواية الأولى :

ـ المِنطق : هو ما تشد به المرأة وسطها عند عمل الأشغال لترفع ثوبها ، وهو أيضاً: النِّطَاق .

ـ دَوْحة : هى الشجرة العظيمة ، وجمعها : الدَّوح .

ـ قفى الرجل : إذا ولاك قفاه راجعاً عنك .

سِقاء : بكسر أوله هو قرية صغيرة .

الثَّنِيَّة : الطريق فى العقبة ، وقيل هو المرتفع من الأرض فيها .

التلبُّط : الاضطراب والتقلب ظهراً لبطن .

ـ صه : اسكت .

ـ تريد نفسها : لما سمعت الصوت ، سكنت نفسها لتتحققه .

ـ غِواث : الغواث والغياث والغوث : المعونة ، وإجابة المستغيث .

ـ تحوضه : تجعل له حوضاً يجتمع فيه الماء .

معيناً : المعـين : الماء الظاهر الجارى الذى لا يتعذّر أخذه ـ كـداء : بالفتح والمد : الثنية من أعلى مكة مما يلى المقابر وبالضم والقصر : من أسفلها مما يلى باب العمرة .

ـ عائفاً : العائف : المتردد حول الماء .

ـ الجرى : الرسول والوكيل .

ـ وأُنْفَسهم : صار عندهم نفيساً مرغوبًا فيه .

ـ تِركته : التِرْكة ـ بسكون الراء ـ ولد الإنسان .

ـ يبتغى لنا : يطلب لنا الرزق ، ويسعى فيه .

ـ آنس شيئاً : أبصر شيئاً ، وأراد كأنه رأى أثر أبيه وبركة قدومه .

أكمة : ما ارتفع من الأرض كالرّابية .

(ب) فى الرواية الثانية :

شَنَّه : القِربة البالية يكون فيها الماء .

فلم تُقِرها نفسها : أى لم تتركها نفسها مستقرة فتشاهده فى حال الموت ، فرجعت ، وهذا فى المرة الأخيرة .

ـ يَنْشغ للموت : النَّشغ : الشهيق ، حتى يكاد يبلغ له الغشى .

ـ انبثق الماء : انفتح وجرى .

الفوائد من القصة :

١ ـ الثقة فى الله

٢ ـ من كنايات الطلاق « غيِّر عتبة بابك » .

٣ ـ من حفر بئراً فى فلاة أو جعل الماء يخرج من الصحراء ملكه ولا يشاركه فيه غيره إلا برضاه .

٤ ـ لا يجوز طرح الولد بالصحراء اتكالاً على الله وأخذاً بما فعل إبراهيم فإن إبراهيم ـ عليه السلام ـ مأمور بذلك .

٥ ـ الأخذ بالأسباب .

٦ ـ إثبات الكرامة .

٧ ـ إنّ مع العسر يسراً .

٨ ـ الفرج مع الكرب .

٩ ـ الدعاء من المضيف لأصحاب الطعام كأن يقول « اللهمّ بارك لهم فى طعامهم وشرابهم ، أو أطعم الله مَن أطعمنا وسقى الله من سقانا » .

١٠ ـ جواز كلام الملائكة مع غير الأنبياء من الصالحين كما هُنا .

المعانى :

ـ أدرَة : وقيل : أدْرَة : نفخة فى الخصية .

ـ عدا بثوبه : مضى مُسرعاً .

ـ وطفق بالحجر ضرباً : الحجر منصوب بفعل مُقدَّر أى : طُفق يضرب الحجر ضرباً .

ـ ندْباً : أثراً .

الفوائد من القصة :

١ ـ أشد الناس بلاءً الأنبياء .

٢ ـ جواز النظر إلى العودة عند الضرورة لمداواة أو إبراءة من العيوب .

٣ ـ فيه دلالة على معجزة موسى عليه السلام ، وهى مشى الحجر أمامه .

٤ ـ فيه دلالة على أن الله تعالى كمل أنبياءه ، خلقاً وخُلُقاً ونزَّههم عن المعايب والنقائص ، ولم يثبت إضافة بعض العاهات إلى بعضهم .

٥ ـ جواز الحلف على الإخبار .

٦ ـ جواز التعرى فى الخلوة للغسل وغيره ، بحيث يأمن عين الناس ، وإن كان التستر أفضل .

٧ ـ وجود التمييز بين الجماد ؛ كالحجر ونحوه .

٨ ـ وصف الأنبياء بكل كمال بشرى .

٩ ـ تحريم سوء الظن .

١٠ ـ قوة موسى ـ عليه السلام ـ لأن بالحجر أثراً من ضربه .

طواف سليمان ـ عليه السلام على نسائه

عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : قال سليمان لأطوفن الليلة على تسعين امرأةً ، كلهن تأتى بفارس يجاهد فى سبيل الله ، فقال له صاحبه : قل : إن شاء الله ، فلم يقل : إن شاء الله ، فطاف عليهن جميعاً ، فلم تحمل منهن إلا امرأة واحدةً ، جاءت بشق رجل . وأيْم الذى نفس محمد بيده ، لو قال : إن شاء الله ، لجاهدوا فى سبيل الله فرساناً أجمعون »[1] .

المعانى :

ـ لأطوفن : طاف بالشىء إذا دار حوله مراراً وهو كناية عن الجماع .

ـ وأيم الذى نفس محمد بيده : أى والله الذى أنا مملوك له .

وأصل أيم : أيمن ، وهو لفظ قسم .

ـ وللحديث روايات : أصحها : تسعين ، وورد : ستون وسبعون وتسعون (وهو أصح) وتسع وتسعون ومائة ، والجمع بينها . أن الستين كن حرائر ، ومَا زاد عليهن كن سرارى ، أو بالعكس .

وأما السبعون فللمبالغة ، وأما التسعون والمائة فكن دون المائة وفوق التسعين ، فمن قال تسعون ألغى الكسر ، ومَن قال مائة جبره .

الفوائد من القصة :

١ ـ يجب على المرء الاستثناء فى أيمانه . فيقول : لأفعلن كذا إن شاء الله .

٢ ـ فى الاستثناء تفويض الأمر لرب العالمين مالكه .

---

(١) أخرجه البخارى فى الأيمان والنذور باب كيف كان يمين النبى ﷺ وفى (٣٤٢٤) كتاب الأنبياء باب (٤٠) ، ومسلم فى الأيمان باب الاشتثناء ، والنسائى فى الأيمان والنذور باب : إذا حلف فقال له رجل : إن شاء الله ، هل له استثناء ؟ وأيضاً رواه البخارى فى كفارات الأيمان باب الاستثناء فى الأيمان ، وفى النكاح باب قول الرجل لأطوفن الليلة على نسائى ، وفى التوحيد باب فى المشيئة والإرادة ، وأحمد (٢/ ٢٢٩ ، ١٥٠٦) ، والحميدى (٢/ ٤٩٤ ـ ٤٩٥) ، وأبو يعلى (١١/ ٢٣٠ ـ ٢٣١) ، والبيهقى فى سننه (١٠ / ٤٤) ، وابن أبى الدنيا فى ذم البغى (٣٣) .

٣ ـ استحباب ذكر الله على كل حالة وفى كل أمر .

٤ ـ للأنبياء قوة عظيمة ليست لغيرهم .

٥ ـ فيه تنبيه على آفة التمنى والإعراض عن التفويض .

٦ ـ فيه فضل فعل الخير وتعاطى أسبابه .

٧ ـ جواز الإخبار عن الشىء أنه سيقع .

٨ ـ جواز السهو على الأنبياء ولا يقدح فى عصمتهم .

٩ ـ استحباب استعمال الكناية للدلالة على الألفاظ المستقبحة لقوله (لأطوفن) بدلاً عن (لأجامعن) .

١٠ جواز إضمار المقسم به فى اليمين لقوله لأطوفن ولم يقل والله .

١١ ـ إتباع المشيئة اليمين يرفع حكمها .

١٢ ـ مشيئة الله فوق مشيئة البشر .

الجراد الذهبى لأيوب

عن أبى هريرة عن النبى ﷺ قال : « بينما أيوب يغتسل عُرْياناً ، خرَّ عليه جراد من ذهب ، فجعل يحثى فى ثوبه ، فناداه ربه يا أيوب ! ألم أكن أغنيتك عمّا ترى ؟ قال : بلى يارب ! ولكن لا غنى بى عن بركتك »[1] .

المعانى :

خرَّ : وقع .

يحثى : يجمع .

---

(١) البخارى فى التوحيد (٧٤٩٣) باب قول الله تعالى ﴿ يريدون أن يبدلوا كلام الله ﴾ ، وفى أحاديث الأنبياء (٣٣٩١) باب قوله تعالى : ﴿ وأيوب إذ نادى ربه ﴾ وفى الغسل (٢٧٩) باب من اغتسل عُرياناً وحده فى الخلوة ، وأحمد (٢/ ٣١٤) والنسائى فى الغسل (١ / ٢٠٠ ، ٢٠١) باب الاستتار فى المسند (٢/ ٤٥٧) والحاكم (٢/ ٥٨٢) (٦١٩٧) والبغوى فى شرح السنة (٨/ ٧٠٦) (٢٠٢٧) وهو فى صحيفة همام بن منبه رقم (٤٧) .

الفوائد من القصة :

١ ـ الاستزادة من فضل الله وبركته لا يدخل فى باب الطمع .

٢ ـ جواز اغتسال المرء عُرياناً وحد ، فى الخلوة .

٣ ـ إكرام الله تعالى لأنبيائه بأشياء غير معهودة لدى الناس .

قصة المصيب ركازاً فى أرض اشتراها من آخر

عن أبى هريرة قال : قال النبى ﷺ « اشترى رجلٌ من رجل عقاراً ، فوجد الرجل الذى اشترى العقار فى عقاره جرَّة فيها ذهبٌ فقال له الذى اشترى العقار : خذ ذهبك منى ، إنما اشتريت منك الأرض ، ولم أبتع منك الذهب ، وقال الذى له الأرض : إنما بعتك الأرض وما فيها ، فتحاكما إلى رجل فقال الذى تحاكما إليه ألكما ولد ؟ قال أحدهما : لى غلام . وقال الآخر ، لى جارية . قال : أنكحوا الغلام الجارية ، وأنفقوا على أنفسهما منه وتصدَّقا »(١) .

المعانى :

الرِّكاز : ما ركزه الله تعالى فى المعادن ، أى : أحدثه .

والعقار : الأرض .

ولم أبتع : أى لم أشتر .

ألكما ولد ؟ أى الجنس ، وليس المراد ولد واحد بل أولاد .

الفوائد من القصة :

١ ـ بلغت الأمانة والورع فى الأمم السابقة مبلغاً عظيما .

٢ ـ للمرء استعمال الأمانة والورع فى أسبابهما بغير حدود .

٣ ـ فضل الإصلاح بين المتنازعين .

٤ ـ يستحب للقاضى ولغيره الصلح بين الخصوم .

---

(١) البخارى (٣٤٧٢) فى أحاديث الأنبياء ، ومسلم (١٧٢١) فى الأقضية باب استحباب إصلاح الحاكم بين المتخاصمين ، وأحمد (٢/٣١٦) ، والبغوى فى شرح السنة (٢٢١٢) ، وابن حبان (٧٢٠) وابن ماجة (٢٥١١) فى اللقطة ، باب من أصاب ركازاً) وهو فى صحيفة همام بن منبه (٧٦) .

٥ ـ المعاملة والنفقة قائمة على التراضى بين الناس وأن الأصل فيها الحِل .

٦ ـ عاقبة الصدق والأمانة وحسن المعاملة ترجع بالخير على أصحابها .

٧ ـ للرجل وزوجته أن يكون مالهما واحداً أولا يكون كذلك .

المقترض ألف دينار من صاحبه

عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ : « أنه ذكر أنّ رجلاً من بنى إسرائيل سأل بعض بنى إسرائيل أن يُسْلفه ألف دينار ؛ قال : أئتنى بشهداء أشهدهم ، قال : كفى بالله شهيداً ، قال : ائتنى بكفيل . قال : كفى بالله كفيلاً قال : صدقت ، فدفعها إليه إلى أجل مُسمّى ، فخرج فى البحر ، فقضي حاجته ، ثم التمس مَركباًيقدُم عليه للأجل الذي كان أجله ، فلم يجد مَرْكباً فأخذ خشبة ، فنُقَرها ، وأدخل فيها ألف دينار وصحيفة معها إلي صاحبها ، ثمّ رَجَّج موضعهما ، ثمّ أتى بها البحر ، ثمّ قال : اللهم إنك قد عَلمت أنى استلفت من فلان ألف دينار فسألنى كفيلاً ؛ قلت : كفى بالله كفيلاً ، فرضى بك ، وسألنى شهيداً : فقلت : كفى بالله شهيداً ، فرضى بك ، وإنى قد جَهَدت أن أجد مَرْكباً أبعث إليه بالذى له ، فلم أجد مَركباً ، وإنى استودعتكها ، فرمى فى البحر ، حتّى ولجت فيه ، ثمّ انصرف ينظر وهو فى ذلك يطلب مَرْكباً يخرج إلى بلده ، فخرج الرجل الذى كان أسلفه ينظر لعل مركباً يجىء بماله ، فإذا بالخشبة التى فيها المال ، فأخذها لأهله حطباً ، فلمّا كسَرها ، وجد المال والصحيفة ، ثمّ قَدِمَ الرجل الذى كان تسلف منه .

قصة غلام جريج

عن أبى هريرة عن النبى ﷺ قال : « لم يتكلم فى المهد إلا ثلاثة : عيسى بن مريم ، وصاحب جريج ، وكان جُريج رجلاً عابدا ، فاتخذ صومعة ، فكان فيها ، فأتته أمه وهو يُصلّى ، فقالت : يا جُريح ! فقال : يارب ! أمى وصلاتى ، فأقبل على صلاته ، فانصرفت .

فلمّا كان من الغد ، أتته وهو يُصلى ، فقالت : يا جُريج ! فقال : أى ربِّ أمى

وصلاتى ، فأقبل على صلاته ، فقالت : اللهمّ لا تُمِته حتى ينظر إلى وجوه المومِسات .

فتذاكر بنو إسرائيل جُريجاً وعبادته ، وكانت امرأة بغى يتمثل بحسنها ، فقالت : إن شئتم لأفتننه لكم .

قال : فتعرضت له ، فلم يلتفت إليها ، فأتت راعياً كان يأوى إلى صومعته ، فأمكنته من نفسها ، فوقع عليها ، فحَمَلت ، فلمّا وَلَدتْ ، ؛ قالت : هو من جُريج ، فأتوه ، فاستنزلوه ، وهدموا صومعته ، وجعلوا يضربونه ، فقال : ما شأنكم ؟ قالوا : زنيت بهذه البغى فولدت منك فقال : أين الصبى ؟ فجاءوا به ، فقال : دعونى حتى أُصلِّى ، فصلّى ، فلمّا انصرف ؛ أتى الصبى فطعن فى بطنه ، وقال : يا غلام ! مَن أبوك ؟

قال : فلان الراعى .

قال : فأقبلوا على جُريج ؛ يُقبِّلونه ويتمسحون به ، وقالوا : نبنى لك صومعتك من ذهب ، قال : لا ، أعيدوها كما كانت ، ففعلوا .

وبينا صبى يَرْضع من أمُه ، فمرَّ رجلٌ راكب على دابة فارهة ، وشارة حسنة ، فقالت أمه : اللهم اجعل ابنى مثل هذا ، فترك الثدى ، وأقبل إليه فنظر إليه فقال : اللهمّ لا تجعلنى مثله ، ثمّ أقبل على ثديه ، فجعل يَرْتضع .

قال : فكأنى أنظر إلى رسول الله ﷺ وهو يحكى ارتضاعه بإصبعه السبابة فى فمه ، فجعل يمصُّها .

قال : ومرُّوا بجارية وهم يضربونها ويقولون ، زنْيتِ . سَرقتِ وهى تقول : حسبى الله ونعم الوكيل .

فقالت أمه : اللهم لا تجعل ابنى مثلها فترك الرضاع ، ونظر إليها ، فقالت : اللهم اجعلنى مثلها .

فهُناك تراجعا الحديث ، فقال : حَلْقى ؛ مرَّ رجل حسن الهيئة ، فقال : اللهم اجعل ابنى مثله فقال : اللهمّ لا تجعلنى مِثله ، ومرُّوا بهذه الأمة وهم يضربونها ويقولون : زَنَيْتِ ، سَرَقْتِ ، فقلت : اللهم لا تجعل ابنى مِثلها ، فقال : اللهم اجعلنى مثلها قال : إنّ ذلك الرجل كان جَبَّاراً ، فقلت : اللهم لا تجعلنى مثله ، وإنّ

هذه يقولون لها : زنيْتِ ولم تزنِ ، وسرقتِ ولم تسرق ، فقلت اللهمّ اجعلنى مثلها[1]

المعانى :

ـ يارب أمى وصلاتى : أى اجتمع علىّ إجابة أمى وإتمام صلاتى ، فوفقنى لأفضلهما .

ـ الموسمات وهى جمع مومسة ، وهى : البغى الزانية المجاهرة .

ـ يتمثل بحسنها : أى يُضرب به المثل .

ـ فتعرَّضت له : أى عرضت نفسها عليه ليواقعها .

ـ فارهة : الفارهة : النشيطة القوية الجادة .

ـ شارة : الشارة : الهيئة واللباس .

ـ تراجعاً الحديث : أى أقبلت على ابنها الرضيع تُحدِّثه ، وإنما كانت فى البدء ، لا تراه أهلاً للكلام والمفاوضة .

ـ حَلْقى : دعاء عليه ؛ أى أصابه الله بوجع فى حلْقه .

ـ اجعلنى مثلها : فى السلامة من الآثام .

الفوائد القصة :

١ ـ المتكلمون فى المهد أكثر من واحد منهم غلام جُريج .

٢ ـ عِظم بر الوالدين .

٣ ـ قد يُجاب دعاء الأم على ولدها .

٤ ـ تقطع صلاة النافلة لإجابة الأم .

٥ ـ استحباب الصلاة عند نزول الشدائد .

٦ ـ ذم الكبر والإعجاب بالنفس .

٧ ـ المظلوم له فضل ومزيّة عند الله ـ تعالى .

٨ ـ من أكثر دعاء الله فى الرخاء فإنه يستجيب له فى البلاء .

---

(١) أخرجه البخارى (٣٤٣٦) فى أحاديث الأنبياء فى بابين ، ومسلم فى البر والصلة باب تقديم بر الوالدين على التطوع بالصلاة وغيرها) ، وأخرجه أحمد (٢/ ٣٩٥) ، ٣٨٥ ، ٤٣٣ ، ٤٣٤) وأبو يعلى (١١/ ١٧٨ ـ ١٧٩) .

وأخرجه البيهقى فى الآداب ـ ١٠٧٩) ، وابن أبى الدنيا فى مجابى الدعوة رقم(١) .

قصة المعذبة قِطة

عن ابن عمر عن النبى ﷺ قال : « دخلت امرأة النار فى هِرَّة ربطتها ، فلم تُطعمها ، ولم تدعها تأكل من خُشاش الأرض »[1] .

المعانى :

خُشَاشَ الأرض : هوامُّها وحشراتها .

وفى رواية أُعْرِضت على النار ، فرأيت فيها امرأة من بنى إسرائيل تُعَذَّبُ فى هِرَّة لها ربطتها ، فلم تطعمها ، ولم تدعها تأكل من خُشاش الأرض » .

الفوائد من القصة :

١ ـ استحباب الإحسان إلى الحيوان والرفق به .

٢ ـ لا يجوز حبسه بدون طعام ، وأنّ ذلك يُعد من أكبر الذنوب .

٣ ـ تعذيب ذوات الأربع من الدواب والبهائم العجماوات يهلك صاحبه .

٤ ـ الظلم حرام ولو مع الحيوان . ومع الإنسان من باب أولى .

٥ ـ نفقة الحيوان على مالكه .

٦ ـ بعض الناس معذَّب بدخول النار فى زمن النبى ﷺ .

٧ ـ عدم الإعجاب بالعمل ، والخوف الدائم من الرب الأعلى .

٨ ـ تعجيل التوبة وعدم الاغترار بآيات وأحاديث الرجاء .

٩ ـ لا تنظر إلى صغر الذنب ولكن انظر مَن عصيت ، ورأت عائشة أن هذه المرأة كانت كافرة ولذلك أنكرت على أبى هريرة .

---

(١) أخرجه البخارى (٣٣١٨ فى بدء الخلق ، باب خمس من الدواب فواسق يُقتلن فى الحرم ، و(٢٣٦٥) فى المساقاه باب فضال سقى الماء و (٣٤٨٢) فى كتاب الأنبياء باب : ٥٤ ومسلم (٢٢٤٢) (٤/ ١٧٦٠) فى السلام ، باب تحريم قتل الهرة و (٢٠٢٢) فى البر والصلة ، والبخارى فى الأدب المفرد (٣٨٥) ، والدارمىّ (٢) ٣٣٠ و ٣٣١ والبيهقى فى السنن (٥/ ٢١٤) و (٨ / ١٣) و (الأداب : (٥٩٥) ، وابن حبان فى صحيحه (٥٤٦) ، وعبد بن حميد فى المنتخب رقم (٨٧٦).